

انشئت في اول كانون الثاني سنة ١٩٢١ الموافق لـ ٢١ ربيع الثاني سنة ١٣٣٩

تصدر في دمشق مرة في الشهر

قيمة اشتراكها ليرة ونصف سورية

فهرست الجزء الحادي عشر من المجلد الثاني

تشرين الثاني سنة ٩٢٢





الجزء ١١ تشرين الثاني سنة ١٩٢٢ الموافق ربيع الاول سنة ١٣٤١هـ المجلد ٢

تفسير الالفاظ العباسية

— في نشوار المحاضرة —

٢

« الطيار »

وفي (ص ١٦) . « فرأيته على روشن داره على دجلة في وقت حار من يوم شديد الحرارة وهو حاف حاسر يعدو من اول الروشن الى آخره فطرحت طياري اليه وصعدت بغير اذن » . وفي (ص ٣٩) « فعدل في الازقة الى سيحان[1] ليركب منها طياره » . وفي (ص ١٠٣) « فعبر في طيار وانا معه » . وفي (ص ١٠٤) « وأنفذ في اشخاصي خادماً من كبار خدم السيدة فجاء في طيار وامر هائل » . وفي (ص ١١٩) « ونهض والكتّاب معه وجاء الى طياره وهو لا يشك في الصرف فصعد الى ابن الفرات » . وفي (ص ١٣١ — ١٣٢) « فكنت جالساً يوماً اذ جاءني بوابي وقال طيار عريب بالباب وهي تستأذن فعجبت من ذلك وارتاح قلبي اليها فقمت حتى نزلت بالشط فاذا هي جالسة في طيارها » . وفي (ص ١٣٣) « ثم قامت لتنصرف فشيعتها الى دجلة فلما ارادت الجلوس في طيارها » . وفي (ص ١٣٨) « حضرت في بعض ايام المواكب باب دار الخلافة فوقفت في طياري والقضاة في طياراتهم » وفي آخر الصفحة « وكنا

(١) اسم نهر بالبصرة كما في حاشية الكتاب .

في طيارانقا اذ خرج خلفاء الحجاب بطلبوني » . وفي (ص ١٤٩) تكرر ذكر الطيار مرتين وكذلك في (ص ١٥٠) . وفي (ص ٢١٢) « فلما نزل في طياره قال اخبرني بما جرى » .

قلنا وورود الطيار في مواضع أخرى من الكتاب لم نر فائدة من الاشارة اليها . ويفهم من بعض ما تقدم انه شيء يركب ومن بعضه انه نوع من السفن . ولم يرد بهذا المعنى في معاجم اللغة التي بايدينا . ومما يؤيد انه نوع من السفن قول هلال الصابئ في تاريخ الوزراء (ص ١٩) « ارزاق الملاحين في الطيارات والشذاءات والسميريات والحراقات والزلالات وزواريق المعابر » . فان قيل قد انشد الراغب في محاضراته (ج ٢ ص ٨) لجحظة البرمكي :

قل للوزير ادام الله دولته اذكر منادمتي والخبز خشكار

اذ ليس بالباب برذون لدولتكم ولا غلام ولا بالباب طيار

ويؤخذ منه انه اراد به غير السفينة قلنا ان صحت هذه الرواية فالمراد بالباب الثاني باب القصر المشرف على دجلة على ان رواية صاحب اليتيمة في البيتين وذكر انهما قيلا في الوزير المهلبي (ج ٢ ص ٩) :

قل للوزير ادام الله دولته اذكرتنا ادمنا والخبز خشكار

اذ ليس في الباب بواب لدولتكم ولا حمار ولا في الشط طيار

انتهى . ويكثر ورود الطيار في كتب الادب والتاريخ بما يفهم منه انه زورق فخم لركوب العظماء والظاهر انهم سموه بذلك لانه من السفن الخفيفة السريعة الجريان كأنها لسرعتها تطير على وجه الماء ومنه تسمية ريان الخولاني لفرسه بالطيار لسرعة عدوه او تفاؤلاً له بذلك . واستعمال الطيران للسرعة مألوف في كلام العرب والمولدين ومنه قول ابن نباتة السعدي في فرس ادهم اغر محجل واجاد :

وادهم يستمد الليل منه وتطلع بين عينيه الثريا

سرى خلف الصباح يطير مشياً ويطوي خلفه الافلاك طيا

فلما خاف وشك الفوت منه تشبث بالقوائم والمحيا

وفي احسن التقاسيم للمقدسي في اختلاف لغات اهل الاقاليم (ص ٣١) ان الطيار

هو الزبزب وذكر اسماء كثيرة له تختلف باختلاف الاقاليم منها المعبر والقارب . ولم تفسر المعاجم الزبزب بسوى ضرب من السفن الا ان صاحب شفاء الغليل قال فيه عن ياقوت انه سفينة صغيرة وانشد لبعضهم :

زبازب تحكي اذا سيرت عقاربا تجري على زئبق

وفي الاغاني (ج ٢١ ص ٢٣٧) « وحدثني رجل من اهل البصرة كان يألف مخارقا ويصحبه قال كنت معه مرة في طيار ليلاً وهو سكران فلما توسط دجلة اندفع باعلى صوته فغنى فما بقي احد في الطيار من ملاح ولا غلام ولا خادم الا بكى من رقة صوته ورأيت الشمع والسرج من جانبي دجلة في صحون القصور والدور يتساعون بين يدي اهلها يستمعون غناءه » .

وفي مروج الذهب (ج ٢ ص ٤٢٠ — ٤٢١ من طبعة بولاق . و ج ٨ ص ٣٧٧ من طبعة باريس) ان المستكفي لما بويع بالشوق وهي على نهر عيسى انحدر في الماء راكباً في الطيار الذي يسمى الغزال[1] . الا انه ذكر في خلافة المتقي ما يعلم منه اطلاق الطيار على نوع من سفن القتال ايضاً فقال : « واشتد امر البريديين بالبصرة ومنعوا السفن ان تصعد وعظم جيشهم وكثرت رجالهم وصار لهم جيشان جيش في الماء في الشذوات[2] والطيارات والسميريات والزبازب وهذه انواع من المراكب يقاتل فيها صغار وكبار » .

فوضح بهذا معنى الطيار والمراد منه وبقي شيء عن لفظه وقد بينا انه مشتق من الطيران والمراد به السرعة اي انه عربي المادة والصياغة بما لا يحتمل الشك فلا يضره كونه مولداً في الاستعمال الا اننا رأينا المعاجم الفارسية ذكرت (الطياره) مضبوطة بفتح الاول وتخفيف الياء لنوع من السفن فهل لنا ان نقول بتعريب الطيار عنها بعد تغييره تغييراً قليلاً . اللهم انا لا نذهب لذلك ولا نقول به وان اتحدا في اللفظ والمعنى بل الاظهر ان تكون (الطياره) دخيلة في الفارسية من العربية ولا غرابة في ذلك فان الفارسية الحديثة دخلتها الفاظ عربية كثيرة ولا سيما بعد اختلاط الامتين في العصر

---

(١) في نسخة بولاق الغزالة . (٢) تقدم في عبارة تاريخ الوزراء والشذاآت والذي في معاجم اللغة ان الواحدة شذاة او شذاوة والجمع شذا او شذاوات .

الاسلامي فلا ينبغي لنا التسرع في الحكم بتعريب لفظ عنها الا بعد التدقيق الشديد وقيام الادلة القاطعة على اصالته في الفارسية ·

ولزيادة الفائدة نذكر انهم استعملوا الطيار ايضاً لمعيار الذهب لانه على شكل طائر واستعملوه ايضاً لنوع من الموازين لا لسان له ذكر ذلك المطرزي في شرحه على المقامات ·

(المزمّلة · والخيازر)

وفي (ص ٢٣) · « انا وجدنا له في جملة قماشه سبعمائة مزمّلة خيازر فما ظنك بروءة وقماش يكون هذا في جملته » · وفي (ص ٦٠) « عمد الى ما عنده من ديبقي وقصب وحرير ومزملات وآلة صيف فيفعل به مثل ذلك » · وربما يسبق الى الذهن من ذكر المزملة في العبارتين مع القماش والديبقي والحرير انها نوع من الثياب الثمينة والصحيح ان المراد بالقماش هنا متاع البيت وبالمزملة اناء للماء · ومما يرشد الى معنى المزملة قول هلال الصابئ في تاريخ الوزراء (ص ١٥٩) « ودار كبيرة للشراب وفيها ماذيان[1] يجعل فيه الماء المبرد ويطرح فيه[2] الثلج كدراً ويسقى منه جميع من يريد الشرب الرجالة والفرسان والاعوان والخزان ومن يجري مجرى هذه الطبقة من الاتباع والغلمان · ومزملات فيها الماء الشديد البرد » ولكن غاية ما ارشدنا اليه انها اناء فيه ماء بارد ولم يذكر لنا من وصفها شيئاً · واذا بحثنا في المعاجم التي بايدينا وجدناها تقول « المزملة كمعظمة التي يبرد فيها الماء من جرة او خابية خضراء قال المطرزي في شرح المقامات وهي لغة عراقية يستعملها اهل بغداد كما في العباب » كذا في القاموس وشرحه ولم يذكرها اللسان بهذا المعنى · ولا يخرج ما في شفاء الغليل وقصد السبيل عن ذلك وقولهم عراقية اي في اطلاقها على هذا الاناء وان كانت عربية المادة والصياغة لانها مشتقة من التزميل وهو تلفيف الشيء بثوب ونحوه ومن شرط هذا الاناء ان يجعل له غلاف يحيط به كما سيأتي بيانه · واما قولهم نقلاً عن المطرزي انها جرة يبرد فيها الماء ففيه

(١) كذا في الاصل وترجم في آخر الكتاب بانه شيء يبرد فيه الماء ·

(٢) في الاصل (في) ·

اقتضاب لعبارته وصرف لها عما اراد واليك نص ماقاله في شرح المقامة الثانية والاربعين « المزملة عند البغداديين جرة او خابية خضراء في وسطها ثقب مركب فيه قصبة فضة او رصاص يشرب منهـا سميت بذلك لانها تزمل اي تلف بشيء من الخيش او غيره ويجعل فيما بينه و بين خزفها التبن تكون في دورهم ايام الصيف يبرد الماء ليلاً بالبرادات ثم يصب في هذه المزملة فيبقى بارداً » وبه يتضح معنى المزملة تمام الوضوح ويعلم منه انها ليست اناء يبرد فيه الماء كما زعموا اي ليست كالتي تسميها عامة مصر (التلاجة) [1] بل هي اناء يصب فيه الماء بارداً فيبقى كذلك .

فاذا عرفنا معنى المزملة وانها اناء مغلف بغلاف خاص يجعلها تحفظ ما يصب فيها من الماء كما هو عرفنا ان اسلافنا سبقوا للاهتداء الى ما لم نهتد اليه الا من وقت قريب فانها بهذا الوصف عين الزجاجة المحافظة لدرجة الماء وان اختلف نوع الجهاز فيهما وهي التي نسميها في مصر بالترموس اخذاً من اسمها الانكليزي *Thermos bottle* اذا عرفنا هذا بقي علينا ان نعرف معنى الخيازر أهو نوع من الثياب الثمينة التي كانت تجلل بها مزملات العظماء ام شيء آخر . والصحيح انه جمع خيزران كانت تنسج من قضبانه الدقيقة مثل سفيفة تغلف بهـا المزملات ونحوها على ما يظهر و يرجحه ما جاء في النشوار (ص ٢٣) « وانا وجدنا فيها ثلاثين جامة بجـازي كل جامة فتحها [2] شبر وكسر في غلف من لب الخيازر مبطنة بالحرير والديباج » اي مغلفة بقضب الخيزران بعد قشر لحائها .

وانشد الراغب في محاضراته للرفاء في وصف مزملة (ج ٢ ص ٣٣٢)

مجروحة الخصر غير دامية كما تكون الجراح والندب
كأنما المـاء حين تبعثه [3] ذوب لجين ميزابه ذهب

وليس فيها شيء من وصفها سوى ان صنبورها في وسطها وانه مذهب . ومن

(١) اي التلاجة والعامة تبدل الثاء المثلثة تاء مثناة في الاكثر .

(٢) لعله (فتحتها) .

(٣) في الاصل (أبعثها) ويجوز ان يكون الصواب (تبعثها) اي انت والمراد تميلها لصب الماء .

مستطرف ما روي عنها في كتاب الظراف والمجانين لابن الجوزي ان رجلاً سقي ماء بارداً ثم عاد فطلب فسقي ماء حاراً فقال لعل مزملتكم تعتريها حمى الربع .

وقد استعملت المزملة في بعض العصور للحوض الذي يشرب منه ابناء السبيل كما يفهم من وصف مزملة عملها المستنصر العباسي ببغداد وورد ذكرها في جزء مخطوط من تاريخ مجهول عندنا . وفي خطط المقريزي (ج ٣ ص ٥٢ من طبعة بولاق) في كلامه على دار المظفر وعثورهم فيها على عتبة من صوان « فبعث بالرجال لهذه العتبة وتكاثروا على جرّها الى العمارة فجعلها في المزملة التي تشرب منها الناس الماء بدهليز المدرسة الظاهرية » . والظاهر ان هذه الاماكن كانت توضع فيها مزملات فيها الماء البارد ليشرب الناس منها ثم سمي المكان بها تجوزاً من تسمية المحل باسم الحال .

اما ذلك الجهاز الذي يتخذ حول المزملات لجعلها صالحة لحفظ درجة الماء فيجوز لنا ان نسميه بالزمال بكسر الاول وتخفيف الثاني ولكن بشيء من التوسع لانه في الاصل يقال للقافة الراوية . وقد شاع اطلاق المزمل على الماء المبرد باحاطته بالثلج وسنذكره في كلامنا على (البرادة) .

(المسورة)

وفي (ص ٢٧) . « وكانا يشاهدان ابا الحسن في آخر الاوقات في المجالس الحافلة عند باب مفتوح وبين [1] الناس مسورة يستند اليها وعلى الباب ستر قد أرخي حتى بلغ الارض وغطى المسورة وصار حجاباً بين الناس وبينها » وبعده « ما دخلت اليه قط وهو مكشوف الرأس الا اخذ القلنسوة من خلف المسورة ولبسها » . وفي آخر (ص ٢٠٣) « وشرب بعد ذلك رطلاً آخر واتكى على مسورته وكذا كانت عادته اذا سكر » . وفي (ص ٢٥٩) « فيقول له الرجل أيش وراء مسورة مولانا » . وكل ذلك يدل على ان المراد منها نوع من المتكآت او المساند وفي القاموس وشرحه ان المسور كمنبر والمسورة متكأ من أدم سميت بذلك لعلوها وارتفاعها من قول العرب سار اذا

(١) لعله وبينه وبين الناس .

ارتفع ومثله في الزاهر [1] للزجاجي الا انه جعلها للجلوس او للاتكاء ووردت في الاغاني كذلك (ج ٢١ ص ٣) ونص العبارة « شهدت اسحاق يوماً في مجلس انس وهو يتغنى بهذا الصوت (خليليّ هبّا نصطبح بسواد) وغلامه زباد جالس على مسورة يسقي » . وذكر هلال الصابي في تاريخ الوزراء (ص ٣٢٥) عن ابي الحسن اتخاذه المسورة عند الباب للاتكاء عليها بنحو ماورد في العبارة الاولى الواردة في النشوار ولكن جاء في (ص ٣٥٣) منه « اذ خرجت ام موسى القهرمانة فجلست على مسورة » . فالظاهر انها كانت تتخذ لهذا ولذاك او كانت منها نوع للاتكاء ونوع للجلوس ومن يتتبع ذكرهم للوسادة في كتب الادب والتاريخ يجدهم يعبرون بها تارة عما يستند اليه واخرى عما يجلس عليه كما فعلوه في المسورة .

(الروز)

وفي (ص ٤٢) . عن اسقاط مال عن رجل كان مطالباً به « فقال المهلبي لابي علي يجب الساعة ان تتقدم الى الجهبذ ان يكتب له ابده الله روزاً بها وان تحمل انت لها وجوهاً في الخرج » وبعده « فاستدعى الجهبذ واخذ روزه سلمه اليه » . قلنا الجهبذ يقال للنقاد الخبير ولخازن المال المسمى في دواوين مصر الآن بالصراف . ومعنى الروز في الفارسية اليوم وقد وجدته في بعض التواريخ معبراً به عن صك يكتبه الجهبذ بقبضه المال كما هنا . وهو مختصر في الروزنامج معرب روزنامه اي كتاب اليوم لانه يكتب فيه مايقع كل يوم من دخل اوخرج او حادثة او غير ذلك فكأنهم ارادوا بالروز الصك الذي يكتب يوم القبض هكذا يظهر لي .

(الرهداري)

وفي (ص ٦٠) . « ثم يعمد الى من يبيع يسيراً مثل نقلي ورهداري ومن رأس ماله دينار وديناران » . وفي (ص ١٨٧) « اجتزت برهداري بمصر فرأيت عنده

(١) منه نسخة قديمة بها خروم في دار الكتب المصرية واصله الزاهر لابي بكر محمد الانباري فاختصره الزجاجي وحذف شواهده وشرح مافيه وبين اوهامه وزاد فيه فوائد ولم يغير اسمه .

حجراً أعرفه يكون وزنه خمسة دراهم مليح المنظر وقد جعله بين يديه في قماشه وكنت اعرف ان خاصيته في طرد الذباب » . وفي (ص ١٩٠) « فلما كان بعد سنة اجتزت برهداري على الطريق واذا بين يديه قناة تشبه قناتي وتأملتها فاذا هي[1] ورطلتها فاذا ثقلها بحاله » . فنرى انه جعله في العبارة الاولى من صغار الباعة وفي الثانية من بائعي الاحجار ذوات الخواص وفي الثالثة من بائعي العصي في الطرق . وكل ذلك صحيح لان الرهداري يعاني التجارة في كل شيء وهو مركب من كلمتين فارسيتين من راه بمعنى الطريق ومن دار بمعنى صاحب والمراد من يطوف بسلعه على الناس في الطرق اي من يسمى عند العامة بمصر (بالسريح) . والفرس تقول فيه راهدار وتطلقه على من يحافظ على الطريق ويخفره في معنى الديدبان وعلى الذي يقبض المكوس على السلع الداخلة من مملكة الى اخرى لانه يكون في ملتقى الطرق بين المملكتين . والياء التي بآخره هي ياء التنكير عندهم فلما استعمله المولدون ابقوها بآخره كما فعلوا بالروزكاري وهو العامل في البناء بالمياومة اي من يقال له عند العامة (الفاعل) . وذكر ابن خلكان في ترجمة احمد الغزالي انه نسبة الى الغزال عند من يشدد الزاي قال وهذه النسبة على عادة اهل خوارزم وجرجان فانهم ينسبون الى القصار القصاري والى العطار العطاري ومثله في الفوائد البهية في تراجم الحنفية للكنوي في ترجمة البقالي الا انه قال بان هذه الياء زيادة العجم لا نسبة . قلنا وما هي الا هذه الياء التي للتنكير كانوا يلحقونها بنسب اصحاب الصناعات ثم لما لقب بها اشخاص معينون بقيت في القابهم .

(الباب)

وفي (ص ٦٥) . « وجدنا كل جريب خس يزرع فيه ستة ابواب يقلع من كل باب من الاصول كذا وكذا » الجريب معروف وهو كالفدان بمصر الا انه اقل مساحة منه . واما الباب فالظاهر انهم يريدون به احد الاجزاء التي يقسم اليها الجريب وقت الزرع اي ما يسمى عند الزراع بمصر بالبيت وبالحوض .

احمد تيمور

(١) لعله فاذا هي هي .

غابر الاندلس وحاضرها

(١٨) ذكرى مؤلمة

مضت اعوام تلتها اعوام ، والنفس تحدث بالارتحال الى الاندلس المحبوبة ، تستنفض معالمها ومجاهلها ، وتستبطن معاهدها ومضانعها ، فتتدبر ، وتذكر ، وتستفيد ، وتفيد . ولما اتاحت لها الاقدار ، بلوغ تلك الامصار ، عرض لها ما كدّر صفو تلك الذكرى ، ذكرى التطواف في الاندلس بعد عزمها للاعتبار ، بالدمى والاحجار ، واستنطاق الآثار ، واستقراء الاخبار ، لمعرفة عمل العرب في تلك الديار . .

اتفق نزولي غرناطة في اليوم الثاني من كانون الثاني ، اليوم الذي خرج فيه ابو عبد الله آخر ملوك بني الاحمر من عاصمة الاندلس ، وانتقلت احكامها الى ايدي الغالبين من الاسبانيين ، والجرس يدوي في كنيسة الحمراء دوياً متواصلاً لامتساوقاً مدة اربع وعشرين ساعة ، احتفالاً بهذا اليوم الذي يعده اهل اسبانيا عامة وسكان غرناطة من بينهم خاصة من اسعد ايامهم الغر . احتفلوا به ضروب الاحتفال ، ومن جملة مظاهر سرورهم مأدبة ادبها يومئذ شيخ مدينة غرناطة في النزل الذي حللته في جوار الحمراء واسمه نزل «واشنطون» على اسم واشنطون محرر اميركا الشمالية وقد حضر المأدبة عظماء المدينة وشربوا وطربوا على ذكر استيلاء اجدادهم على آخر ارض احتلتها العرب من شبه جزيرتهم .

تذكرت ذاك اليوم المشؤوم ، وقد رفع الصليب الفضي على اعلى برج في الحمراء اشارة الى ظفر الاسبان الاخير وخروج العرب من هذه الديار ، وقد اخذ ابو عبد الله بن الاحمر يحفز في حاشيته ليخرج من الحمراء قبل ان يبغته العدو فيها ، ويتلفت وهو يجتاز جبل الثلج الى غرناطة البديعة فيتنهد ويبكي ، وامه ترافقه وتقول له : لا تبك كالنساء ملكاً لم تستطع ان تحافظ عليه كالرجال .

كل سنة يبالغ القوم هنا بعيد غرناطة السنوي وقد احتفلوا به حتى اليوم اربعمائة وثلاثين سنة يتذكرون كل مرة نصرتهم على اعدائهم ويوماً تمت لهم فيه وحدة تم القومية

والدينية ، وقد مثلوا افظع مأساة ارتكبتها انفس متعصبة جاهلة ، وسلكوا للخلاص من مخالفيهم طرقاً بشعة ، لم يسلكها هؤلاء معهم يوم استصفوا ارضهم وحلوا ديارتهم ، وهم في رفعة ومنعة ، وغبطة وسعة . يحشدون يوم الحفل رجالهم ونساءهم وذراريهم يحفزون ارواحهم ليوقظوها ، ويهيجون كوامن الصدور ليعتبروا بما وقع لهم في سالف العصور وليعلموهم ان غلبة سنة ١٤٩٢ وان كانت من باب تسلط الجهل على العلم الا انها دلت على ان الثأر لاينسى ولو بعد ثمانية قرون .

وما كان اجدر بالعرب ان يعدوا آخر يوم خرجوا فيه من الاندلس من ايام البؤس ، المشتملة بالحزن ، المملوءة بالاستعبار ، يتناشدون فيه التعازي والمراثي ، ويتطارحون حديث محنة مضت ، وتذكارها المؤلم لم يبرح يتجدد ، وشرر شرها لم يزل يتولد ويتوالد .

قيل ان اناساً من جالية الاندلس في بر العدوة ما برحوا الى اليوم وقد انقضت اربعة قرون على مغادرتهم بلداً نبت لهم فيه العز ، واثمر المجد والسعد ، يخلف الوالد منهم لبنيه في جملة مخلفاته ، مفاتيح داره في الاندلس على امل ان يعود اولاده اليها ذات يوم ويفتحوها وينزلوها . تذكار ان عده بعضهم في باب الهزل ، وقيده في سجل المستحيلات يحوي ولاجرم في مطاويه اجمل العظات ، واعظم التذكارات .

وحقيق بكل بلد للعرب فقد استقلاله ان يقيم كل سنة المآتم على ماحل به خصوصاً في البلاد التي يعبث فيها المتغلبون بمخصات المغلوبين فان بعض العناصر الاوربية كالاسبان لم يكتفوا بطرد العرب من بلادهم بل يحاولون اليوم في الريف من بلاد مراكش ان يجلوهم عنها بعد ان تأصلت كلمتهم فيها منذ ثلاثة عشر قرناً اقاموا خلالها مدنيات وانشأوا امجاداً لهم ودولات .

ان العرب الذين انشأوا من العدم مدنية الاندلس وقاموا في عصور الظلمات باعمال لا يكاد يصدق الناظر اليها انها بنت قرائحهم ، وثمرة عقولهم ، لو لم تتناصر على ذلك اصدق الروايات ، لا يعجزهم اليوم ، والعصر عصر النور ، ان يقوموا بمثل ما عمله اجدادهم ، لو نفس خناقهم ، وملكوا زمناً قياد انفسهم . بعض اهل الغرب اليوم حرب على الشرق وسوف تكون لهذا الغلبة للاحتفاظ بدياره وآثاره ، وامامه اسبانيا

والبورتغال اللتان ثأرتا لنفسهما من مستعبديهما بعد قرون ولم تكونا في رقي العرب اليوم عدداً وعدداً ، ومضاء وغناء .

اضعف امة اليوم في الغرب لا يبلغ عدد اهلها عدد اهل اقليم واحد من اقاليم العرب او قطر من اقطارهم تتناغى الليل والنهار بآثارها وتتحدث بمفاخر اجدادها وتقدس اعمال نوابغها ورجالها ولا تنسى يداً لمحسن اليها ، ولا اساءة مجرم جنى عليها. العرب توغلوا يوم اشتد سلطانهم في جنوبي اوربي ونشأت لهم حكومات في شبه جزيرة ايبريا وجزيرة صقلية وسردانية فارتكبوا بذلك جناية في عرف اهل تلك الديار ، افليس من العدل ان تغتفر لهم هذه الهفوة او الغزوة ، في جانب ما حملوه الى من غلبوهم من ضروب المعارف والصناعات ، ومستحسن الآداب والاخلاق . العرب حملوا الى الاندلس حضارة رائقة ، ونظاماً محكماً ، احلوهما محل الفوضى والتوحش ، والسخافات والخرافات .

تود كل امة اليوم مهما بلغ من تراجع الحضارة بينها ان تحكم نفسها بنفسها وتمثل مشخصاتها ومقدساتها ، فهل ينال العرب هذه الامنية وهم ليسوا دون بعض الامم الاوربية التي اخذت تتمتع الواحدة تلو الاخرى باستقلالها منذ قرن من الزمن فليس كل امم اوربا بحضارتهم الانكليز والالمان والفرنسيس ولا كل الشعوب العربية على مستوى واحد في الحضارة والنور .

(١٩) جلاء المسلمين وتنصيرهم

لما استولى العرب المسلمون على الاندلس لم يكرهوا احداً من سكان البلاد الاصليين على الدخول في دينهم ، بل اظهروا التسامح المقبول الذي يأمرهم به الدين الحنيف ، واطلقوا للناس حريتهم في ذلك ، فكان بعض الاسبانيين يدينون بالاسلام برضاهم .

فعهد العرب اذاً في الاندلس كان عهد تسامح وحرية ، لم تعهده من قبل ولا من بعد ولم يمنع عن بث الدين المسيحي الا دعاته المفرطون ، ممن كانوا يقفون على ابواب المساجد والجوامع ، ويدعون المسلمين الى دينهم ، ولا جوزوا اخذ مال احد من اهل ذمتهم بل اكتفوا بجزية بسيطة ، وساووهم في جميع الامور بانفسهم .

مثال من لطف الحكم تعلمه الفاتحون من كتابهم فلم يحيدوا عنه قيد غلوة ، وهم في

عز سلطانهم ، والقول الفصل في الارض كلها لهم ولقومهم مدة قرون طويلة .

هكذا فعل العرب في ابان قوتهم ، فانظر ماذا صنع الاسبان يوم قوي سلطانهم وكيف عاملوا العرب نقلاً عن شاهد العيان قال :

لما استولى صاحب قشتالة على مدينة بلش عام اثنين وتسعين وثمانمائة ودخلت في ذمته جميع القرى التي تلي بلش وقرى جبل منتميس وحصن قمارش خرج اهل بلش من بلدهم مؤمنين ، وحملوا ماقدروا على حمله من اموالهم فمنهم من جوّزه العدو الى ارض العدوة ومنهم من اقام في بعض تلك القرى ومنهم من صار الى ارض المسلمين التي بقيت بالاندلس .

ولما استولى الغالبون على مدينة مالقة و بلش وجميع الجهات الغربية لم يبق للمسلمين في تلك الناحية ملجأ . وفي عام ثلاثة وتسعين وثمانمائة خرج العدو نحو حصون الشرقية وكانت في صلحه فاستولى على تلك الحصون كلها وفي سنة ٨٩٤ خرج نحو حصن موجر فاستولى عليه وعلى الحصون القريبة منه ومن مدينة بسطة .

وكان صاحب قشتالة كثيراً مايستعين بالمرتدين والمدجنين على قتال المسلمين يدلونه على عوراتهم ، ولطالما امر بهدم المدن والقرى التي يستولي عليها يبني بانقاضها مسوّرات في بضعة ايام كما فعل في غرناطة . ومن جملة الشروط التي شرط اهل غرناطة على ملك قشتالة ان يؤمنهم في انفسهم ونسائهم وصبيانهم ومواشيهم ورباعهم وجناتهم ومحارثهم وجميع ما بايديهم ولا يغرمون الا الزكاة والعشر لمن اراد الاقامة ببلدة غرناطة . ومن اراد الخروج منها يبيع اصله بما يرضاه من الثمن لمن يريده من النصارى والمسلمين من غير غبن ، ومن اراد الجواز لبلاد العدوة بالغرب يبيع اصله ، و يحمل امتعته ، و يحمله في مراكبه الى اي ارض اراد من بلاد المسلمين من غير كراء ولا شيء يلزمه لمدة ثلاث سنين ، ومن اراد الاقامة من المسلمين بغرناطة فله الامان على نحو ماذكر وكتب لهم بذلك كتاباً ، واخذوا عليه عهوداً ومواثيق في دينه مغلظة . و بعد ذلك اخلى المسلمون مدينة الحمراء كما اخلوا غرناطة ودخلها الاسبانيون . ولما سمع اهل البشرة ان اهل غرناطة دخلت تحت ذمة النصارى ارسلوا بيعتهم الى ملك الروم ودخلوا في بيعته فلم يبق للمسلمين موضع بالاندلس .

ولقد سرح صاحب قشتالة للمسلمين بالجواز الى الساحل فصار كل من اراد الجواز يبيع ماله ورباعه ودوره فكان الواحد منهم يبيع الدار الكبيرة الواسعة المعتبرة بالثمن القليل وكذلك يبيع جنانه وارض حرثه وكرمه وفدانه باقل من ثمن الغلة التي كانت فيه فمنهم من اشتراه منه المسلمون الذين عزموا على الدجن ومنهم من اشتراه منه النصارى وكذلك جميع الحوائج والامتعة ومن المسلمين من طمعوا في عناية ملك النصارى بهم فاشتروا اموالاً رخيصة وامتعة وعزموا على المقام في الاندلس ٠

ثم ان الملك امر الامير محمد بن علي بالانصراف من غرناطة الى قرية اندرش من قرى البشرة فارتحل بعياله وحشمه واموال واتباعه ثم ظهر له ان يصرفه فبعث المراكب تأتي لمرسى عذرة واجتمع معه خلق كثير ممن اراد الجواز فركب الامير محمد ومن معه في تلك المراكب حتى نزلوا مدينة مليلة ففاس من عدوة المغرب ٠

واخذ ملك الاسبان بعد حين ينقض الشروط التي اشترطها عليه المسلمون ، وشرع يفرض عليهم الفروض ، وثقلت عليهم المغارم ، وقطع لهم الاذان ، وامرهم بالخروج من مدينة غرناطة الى الارباض والقرى وبعد ذلك دعاهم الى التنصر واكرههم عليه وذلك سنة اربع وتسعمائة فدخلوا في دينه كرهاً وصارت الاندلس كلها نصرانية ٠ وامتنع بعض اهل الاندلس من التنصر كاهل قرية ونجر والبشرة واندرش وبلفيق فاحاط بهم ملك قشتالة وقتل رجالهم وسبى نساءهم واخذ صبيانهم وسلب اموالهم ونصرهم واستعبدهم ٠ وامتنع اناس في غربي الاندلس من التنصر وانحازوا الى جبل وعر منيع فلما امتنعوا عليه وقاتلهم فلم ينل منهم منالا اعطاهم الامان على ان يجوزهم لعدوة المغرب مؤمنين على ان لا يسرح لهم شيئاً من اموالهم غير الثياب التي كانت عليهم وجوزهم لعدوة المغرب كما شرطوا ولم تقم للاسلام والمسلمين بعد ذلك قائمة ٠

قال السلاوي : التزم اهل غرناطة طاعة صاحب قشتالة لما استولى عليها سنة سبع وتسعين وثمانمائة والبقاء تحت حكمه ولما نقض الشروط وهي سبعة وستون شرطاً عروة عروة ومنها اقامة شريعة المسلمين على ما كانت ولا يحكم على احد منهم الا بشريعتهم وان تبقى المساجد كما كانت والاوقاف كذلك الى ان آل الحال لحملهم على التنصر فتنصروا عن آخرهم بادية وحاضرة وكان اهل الاندلس كثيراً ما يهاجرون الى بلاد

الاسلام غير ان عامتهم كانوا قد تخلقوا باخلاق العجم (غبر العرب من الاسبان) واثر فيهم ذلك اثراً ظاهراً لطول صحبتهم لهم ونشأة اعقابهم بين اظهرهم الى ان كانت سنة ست عشرة والف فهاجر جميع من لم يتنصر منهم الى بلاد المغرب وغيرها وفي خلال ذلك منع العرب من التكلم بالعربية [1]

قال المقرّي : كان النصارى بالاندلس قد شددوا على المسلمين بها في التنصر حتى انهم احرقوا منهم كثيراً بسبب ذلك ومنعوهم من حمل السكين الصغير فضلاً عن غيرها من الحديد وقاموا في بعض الجبال على النصارى مراراً ولم يقيض الله لهم ناصراً الى ان كان اخراج النصارى اياهم اعوام سبعة عشر والف فخرجت الوف بفاس والوف اخر بتلمسان ووهران ، وخرج جمهورهم بتونس وخرج طوائف بتطاوين وسلا والجزائر وعمروا القرى واغتبط بهم الناس وتعلموا حرفهم وقلدوا ترفهم [2] ووصل جماعة منهم الى القسطنطينية والى مصر والشام وغيرها من بلاد الاسلام .

***

(١) لما انقرضت دولة العرب وبقي بعضهم فيها حافظوا على دينهم مع شدة الاضطهاد ولكنهم نسوا او الزموا باهمال اللغة العربية وصارت اللغة القشتالية اي الاسبانية ملكة متوارثة فيهم فكتبوا علومهم بها لكن بحروف عربية وسموها (الخميادو — Aljamiado) ووجه التسمية ان العرب يسمون كل ما ليس بعربي العجمي وجرى على منوالهم الاندلسيون فكانوا يسمون اللغة القشتالية اي الاسبانية باسم « لاعجمية » ثم انتقلت هذه اللفظة الى اللغة الاسبانية بغير حرف العين لعدم وجود ما يقابله في اللغات الافرنجية فصارت الكلمة مقابل هذا الصوت (الاجاميا) ولما كان اهل اسبانيا يقلبون اغلب الجيمات خاءً قالوا (الاخاميا) او (الخميا) ورسموها بحروفهم هكذا بعد ان سكنوا حركة اللام (*Alj amia*) وعلامة النسبة عندهم *do* توضع في آخر الكلمة فبذلك قالوا (*Aljamiado*) اي الاعجمي . (السفر الى المؤتمر)

(٢) قال ابن ابي دينار ان المهاجرين من الاندلس الى تونس سنة ١٠١٧ — ١٠١٨ هـ كانوا خلقاً كثيراً فاوسع لهم عثمان داي في البلاد وفرق ضعفاءهم على الناس واذن لهم ان يعمروا حيث شاؤوا فاشتروا الهناشير وبنوا فيها واتسعوا في البلاد فعمرت بهم واستوطنوا

هذا ما رواه مؤرخو العرب واليك ما قاله مؤرخو الافرنج في هذه الكارثة :

جاء في التاريخ العام للافيس ورامبو : صحت النية سنة ١٦٠٩ على نفي العرب *Les morisques* وكانوا يؤلفون عنصراً خاصاً عصي على التمثل ولم ينزل عن مشخصاته ومميزاته على كثرة ما بذل فيليب الثاني من الجهد فوقع الاتفاق على التذرع بكل ما يمكن لاهلاكهم فعمدت الحكومة الى الخروج عن القانون بدعوى قيامها بما فيه سلامتها ولانجاز وحدة اسبانيا وانقاذ البلاد من اولئك المحالفين سراً للاتراك والانكليز والفرنسيس على حين اشتدت شوكة قرصان البحر من البربر وهنري الرابع يضع خططه السرية فحاذرت اسبانيا العواقب وقام رئيس اساقفة بلنسية يدعو الى طرد العرب مدعياً ان منهم تسعين الفاً يستطيعون حمل السلاح واذا اغار على اسبانيا عدوها تسوء حالها ويحرج موقعها . واذ كان القشتالي كسلاناً فقيراً كان يكره من العرب منافستهم الشديدة له التي اكسبتهم غنى بفضل اقتصادهم نادى رئيس الاساقفة ان مما يخشى منه ان يحتكر هؤلاء العرب جميع ثروتنا ويؤدوا بالاسبانيين الى العدم والشقاء . وقال غيره انهم يدخرون على الدوام وعلمهم عبارة عن سرقتنا فهم الدودة التي تقرض اسبانيا . وعلى هذا كان من التعصب الديني ان قضى على العرب . ولما تعذر تنصيرهم رأوا ان الطريق الوحيد الى الخلاص من خطرهم المادي والمعنوي يكون بطردهم فقوي نفوذ رجال الكهنوت على ممثلي طبقات الاشراف في البلاد وكانت عقول هؤلاء اكثر استنارة يحرصون على الاحتفاظ بالعرب في بلادهم لانهم عاملون ينفعونهم بعملهم ويدرون عليهم ربعاً كبيراً فقاموا ينكرون الشدة التي ارتأى ان يعمد اليها المجلس والحبر نديم الملك فلم يلبث بقايا العرب في بلنسية والاندلس ومرسية وقشتالة وارغون وكتلون ان غربوا (ايلول

— في عدة اماكن وبنوا اكثر من عشرين بلداً فصار لهم مدن عظيمة وغرسوا الاشجار ومهدوا الطرقات بالكراريط للمسافرين وصاروا يعدون من اهل البلاد . وذكر السيد حسن حسني عبد الوهاب من علماء تونس في رسالة بالافرنسية ذكر فيها اصول التونسيين انه دخل تونس في القرنين ونصف القرن الذي انتهى بها جلاء العرب عن الاندلس لا اقل من مئة الف اندلسي وان الطبقة المتمدنة الغنية من الاندلسيين نزلت مدينة تونس واختلطت باهلها وقلدهم ملوك بني حفص فيها خطط القضاء والادارة والتعليم .

١٦٠٩ تموز ١٦١٠) وحملوا الى افريقية حيث هلك عدد كبير منهم وثار اربعون الفاً منهم فاعتصموا في جبال بلنسية فذبحوا او استعبدوا ففقدت اسبانيا بهم على اقرب تقدير من خمسمائة الى ستمائة الف من احسن العاملين في الزراعة والصناعات وعجلت بذلك خرابها وايمالها هذا ابتاعت وحدتها الدينية بالثمن الغالي وفرح الرأي العام الاسباني اذ ذاك بما تم في هذا الشأن وعدوه من اعظم الاعمال التي قامت في عهد ملكهم ومنهم من رأوه نعمة من السماء ! وقال مؤرخ اسباني : بالسعادة ملك توفق الى ان يعمل هذا العمل من طرد العرب . ولكن الامم خارج اسبانيا عدوا عمل الاسبانيين من تغريب العرب جنوناً بل وصفه ريشليو بانه افظع عمل بربري ذكره تاريخ القرون .

وفي التاريخ العام ايضاً ان خضوع العرب في اسبانيا قد اقلق ملوك الكاثوليك[1] وفتح امامهم مسألة تطاولوا الى حلها بما عهد في عنصرهم من المضاء الوحشي وبما اشتهرت به قرون التدين من التعصب وعدم التسامح فرأوا ان بعض مئات الالوف من الاسرائيليين والمسيحيين يكثرون سواد المخالفين وهم كثير تساهم لا يعلم ماذا يكون منهم ، وهم على ما هم فيه من الغلو يقتنون ويعملون فاشتد القلق من قوم يخالفون الاسبانيين بحضارتهم بل يعجبون بها ولهم ميول وعقائد وعواطف تخالف ما عليه الجمهور فبدأوا بالاسرائيليين حتى ان ميكل لوكاس اعظم سادات قشتالة ذبحه سكان جيان امام المذبح في الكنيسة سنة ١٤٧٣ لاتهامه بالعطف على الاسرائيليين .

وكان من مذابح سنة ١٣٩٠ ان اضطر الوف من اليهود في معظم مدن قشتالة ان يتنصروا ومنهم من دام على نصرانيته ومنهم من رجع الى دينه الاصلي او كان ظاهره مسيحياً وقلبه وعاداته قلب اسرائيلي وعاده . وكان منهم طبقة غنية محترمة . وفي سنة ١٤٨١ وقع تخييرهم بين التنصر والجلاء فآثروا الثاني الا ان ديوان التفتيش لم تأخذه بهم رحمة كما لم يشفق على المسلمين سنة ١٤٩٢ فشقوا عصا الطاعة بما رأوه من تعصب

(١) يريد ملوك اسبانيا فان ملك اسبانيا لا يزال الى اليوم يدعى في الرسميات صاحب العظمة الكاثوليكي :

Sa Majesté' Catholica

الكردينال كسيمنس [1] الذي عمد الى تنصيرهم باشنع الطرق من الحبس والشدة واخذ الاولاد ولما فرغ صبرهم وعمدوا الى السلاح نقض ما اعطوه من الشروط يوم تسليمهم غرناطة ولئن فضلوا ان يتنصروا على ان يهجروا بلادهم فانهم لم يسلموا ايضاً واشتد ديوان التفتيش في مراقبتهم وكان الاسبانيون يرون في عمل هذا الديوان الديني سلامة عنصرهم وسلامة دينهم ولذلك كانوا شاكرين لعمله مهما قسا وغرّم ٠

وقال رينان : لم تكتف اسبانيا بما قامت به من المظالم باسم الدين واحراق البشر وقتلهم وتعذيبهم بل رأت ان توهم الناس انه لا سبيل الى قيام وحدتها الا بنفي اليهود سنة ١٤٩٢ ونفي العرب (١٦٠٩) فسار مئات الالوف منهم يهجرون بلادهم وهلك منهم في الطرق عشرات الالوف فخرجت اسبانيا من احسن العاملين فيها وفقدت تجارها الماهرين واطباءها الحاذقين وقد قتل في اسبانيا وحدها بفعل ديوان التفتيش الديني نحو مئة الف انسان على الاقل ونفي منها مليون ونصف و بذلك خربت مدنية تلك البلاد الجميلة ٠

وقال سيديليو : كان طرد العرب من اسبانيا من موجبات تأخرها كما وقع لمدينة نانت يوم طرد منها من كان مخالفاً للكثلكة فاضر ذلك بالصناعة الفرنساوية ٠ وقد تمكن الكردينال كسيمنس من تعويز جميع آثار المسلمين وامر باحراق ثمانين الف مخطوط عربي في ساحات غرناطة ٠

(٣٠) سقوط الاندلس

كان العرب في الاندلس في جهاد دائم مع اعدائهم منذ وطئ طارق بن زياد وموسى ابن نصير ارضها ، ورفعوا علم الامويين على ربوعها ، ودفعوا باعدائهم الى اقصى الشمال ٠ يسكن الجلالقة وغيرهم حيناً اذا وجدوا العرب مستمسكين بعروة الوحدة ، ومتى شاهدوا اختلاف امور العرب او آنسوا من بعضهم ميلاً اليهم او نزوعاً الى الاحتماء بهم لينالوا

(١) هو مرشد ايزابيلا الكاثوليكية ملكة قشتالة حكم اسبانيا بعد موت فرديناند الكاثوليكي مات سنة ١٥١٧ وقد كان من اعظم من قضوا على العرب ومدنيتهم على ما مر بك في الفصول السابقة ٠

من خصومهم يحملون حملات منكرة ، ويقاتلون اعداءهم بكل ما فيهم من قوة ولذلك قلت غارات الاسبانيين والبرتقاليين على البلاد التي تزلها العرب على عهد دولة بني امية اوائل المئة الخامسة وان كان الثوار لم ينقطعوا تماماً في الداخل عن مجاذبة الاموبين حبل السلطة .

ثم فسدت عصبية هذه الدولة من العرب واستولى ملوك الطوائف على الاندلس واقتسموا خططها وتنافسوا بينهم وتوزعوا ممالك الدولة وانتزا كل واحد منهم على ما كان في ولايته وشمخ بانفه وبلغهم شأن العجم مع الدولة العباسية فتلقبوا بالقاب الملك ولبسوا شارته واستبد كل واحد منهم بجانب من الاندلس ودعى نفسه ملكاً فتلقبوا بالناصر والمنصور والمعتمد والمعتضد والمظفر وامثالها حتى نعى عليهم ابن شرف عملهم بقوله المأثور

مما يزهدني في ارض اندلس اسماء معتضد فيها ومعتمد

القاب مملكة في غير موضعها كالهر يحكي انتفاخا صورة الاسد

او كما قال ابن حزم : فضيحة لم يقع في الدهر مثلها اربعة رجال في مسافة ثلاثة ايام في مثلها يسمى كل واحد منهم بامير المؤمنين ويخطب لهم في زمن واحد احدهم في اشبيليه والثاني بالجزيرة الخضراء والثالث بمالقة والرابع بسبتة . واصبح العرب والبربر في خصام مستديم والجميع في خلاف مع اهل المغرب الاقصى من الجنوب وفي حروب مع بقايا الامم الاسبانية والبرتقالية من الشمال والغرب .

سقطت الاندلس لتشتت اهواء امرائها واصبح بعضهم « ولاهم له سوى كأس يشربها وقينة تسمعه ، ولهو يقطع به ايامه » واسترسلوا الى اللذات ، وركنوا الى الراحات ، واغفلوا الاجناد ، واحتجبوا عن الناس ، ولم يعودوا ينظرون في الملك ، ومنهم من قتل كبار قواده ، ووسد الامور الى الضعاف ، فكثرت المظالم والمغارم ، وكثر الثوار مرات بشرق الاندلس وغربها من القضاة وغيرهم ، وهكذا تبدد شمل الجماعة « فنشط اشراف العمالات ازمة امورهم ، وركبوا ظهور غرورهم ، فاتوا من ذلك بكل شنيعة » .

قال ابن حزم : كانت طرطوش وسرقسطة وافراغه ولاردة وقلعة ايوب في يد بني هود وبلنسية في يد عبد الملك بن عبد العزيز والثغر اي ما فوق طليطلة من جهة الشمال في يد بني رزين وطليطلة في يد بني ذي النون وقرطبة في ايدي ابناء جهور

واشبيلية في يد بني عباد ومالقة والجزيرة الخضراء في يد بني برزال من البربر والمرية في يد زهير العامري ثم ابن صمادح ودانية واعمالها والجزائر الشرقية (الباليار) في يد مجاهد العامري وبطليوس ويابرة وشنترين ولشبونة في يد بني الافطس واصبح كل امري وما اختار من الالقاب والاسماء حتى ان المستعين لما جلس على عرش الخلافة قال للناس اجمعين : ارتعوا كيف شئتم ، وارتسموا بما احببتم من الخطط ، فتسمى بالوزارة في ايامه منفردة ومثناة (اي الوزير وذي الوزارتين) اراذل الدائرة ، واخابث النظار ، فضلاً عن زعانف الكتاب والخدمة .

قسمت الاندلس بعد سقوط الامويين ، الى تسع عشرة مملكة منها قرطبة واشبيلية وجيان وقرمونة والغرب والجزيرة الخضراء ومرسية وبلنسية ودانية وطرطوشة ولاردة وسرقسطة وطليطلة وباجة ولشبونة وغيرها . وقد كان يخشى بعد هذا التفرق وتراجع امر الدولة الاموية ان تسقط الاندلس دفعة واحدة ولكن قدر الله ان يكون ملوك الجلالقة وقشتالة وغيرهم مشتتة كلمتهم متفرقة اهواؤهم وقيض للبلاد دولة اخرى جديدة قوية جاءتها من الجنوب اي من المغرب الاقصى وهي دولة المرابطين نافرج بها عن العرب بعض الفرج فجاء يوسف بن تاشفين وقاتل الادفنش سنة ٤٨٠ وانتصر عليه وكانت البلاد الى البوار بسبب استيلاء النصارى عليها واخذهم الاتاوة من ملوكها قاطبة .

ثم عادت احوال الاندلس فاختلت اختلالاً مفرطاً آخر دولة امير المسلمين علي بن يوسف اوجب ذلك « تخاذل المرابطين وتواكلهم ، وميلهم الى الدعة ، وايثارهم الراحة ، وطاعتهم النساء ، فهانوا على اهل الجزيرة ، وقلوا في اعينهم ، واجترأ عليهم العدو ، فاستولى على كثير من الثغور المجاورة لبلادهم » . حتى جاء الموحدون كما كان المرابطون من قبل بدعوة عقلاء الاندلس وامرائها وقد كانوا يدعونهم الى نصرتهم بضروب الفصاحة من الشعر والنثر ويستنفرون الناس من العدوة .

لما اشتد الحصار على اهل اشبيلية سنة ٦٤٥ صنع ابراهيم بن سهل الاسرائيلي قصيدة يستنفر بها الغزاة من العدوة ويستنصر بامراء العرب وذلك اذ كان العدو عليها قال فيها :

يا معشر العرب الذين توارثوا — شيم الحمية كابراً عن كابر
ان الاله قد اشترى ارواحكم — بيعوا ويهنئكم وفاء المشتري

انتم احق بنصر دين نبيكم ... وبكم تمهد في قديم الاعصر

الى ان قال :

والخيل تضجر في المرابط عزة ... الا تجوس حريم رهط الاصفر

كم نكروا من معلم ، كم دمروا ... من معشر ، كم غيروا من مشعر

كم ابطلوا سنن النبي ، وعطلوا ... من حلية التوحيد صهوة منبر

الى ان قال :

عند الخطوب النكر يبدو فضلكم ... والنار تخبر عن ذكاء العنبر

لو صور الاسلام شخصاً جاءكم ... عمداً بنفس الوامق المتحسر

ولو انه نادى النصير لخصكم ... ودعاكم يا اسرتي يا معشري

نعم كانت التفرقة بين امراء العرب في الاندلس مما اغرى اعداءهم كيف يتحدون ليدفعوهم عن ارضهم كما وقع للعرب في صقلية سنة ٤٣١ فانهم بعد ان دافعوا عنها جيوش البيزنطيين والنورمانديين والروسيين والفاكريكيين قسموا صقلية الى امارات صغرى فانشأوا جمهورية في بلرم واخرى في سرقوزة وكان ذلك من اكبر الدواعي في زوال سلطانهم . لا جرم ان ضعف الوازعين الديني والمدني من ميل القوم الى الراحة والدعة وضعف الاخلاق الحربية فيهم وانتشار الفوضى في احكامهم كان منه ان تأذن الله بذهاب ريحهم لا كما يدعي بعض العامة من ان رواج سوق الشعر كان السبب في زوال الاندلس وتبديد شمل اهلها فقد كان الشعر عندهم من جملة المسليات لان للعرب دائمة غراما به والادب وسيلة الى العلوم كافة والعرب امة أولعت منذ عرف تاريخها بالفصاحة والبلاغة .

ومن تدبر سير الحروب بين العرب والاسبان والبرتغاليين في المدة التي ارتفعت فيها اعلام المسلمين على الاندلس يدرك ان القوتين قوة الغالب والمغلوب كانت متعادلة في اكثر الايام ولكن تكتب الغلبة للفريق الذي كان جنده منظماً احسن من جند خصمه وكان بعض خلفاء الاندلس يعتمدون على جنود لهم من الرقيق كالصقالبة وغيرهم ويعفون رعاياهم من التجند على حين كان زعماء الاسبان يصرفون ايام شبابهم في تعلم الضرب بالسيف

والرمح لقتال اعدائهم [1] والعرب لا يجوزون ان يستبدلوا العادات الحربية باعمال الزراعة وما في المدنية الراقية من التمتع والهناء فكان الناس في الممالك النصرانية يضطرون الى الخدمة في الجندية ويرافق الاشراف ملوكهم الى الحرب مع اتباعهم .

اما العرب فلا يخرج احدهم الا الى الجهاد واذا خرج فيكون خروجه على الاغلب متكارهاً لمدة معينة فكانت اوضاع الاسبان حربية محضة تكون لهم بها الغلبة في القتال اما في البحر فكان العرب اشد بأساً واقوى اساطيل ولهم في كل فرضة من فرض الاندلس سفن معدة وقد اقاموا لها دور صناعة في المرية وطرطوشة وطرخونة وكانت معامل اشبيلية وقرطاجنة تخرج كل سنة سفناً جديدة تمخر في عرض البحار .

استولى الملوك من بني الاحمر قرنين ونصف قرن كما تقدم لنا الكلام في ذلك وهم الذين استولوا على بقايا مجد العرب بعد ان انتصر سلطانهم سنة ٦٦٣ هـ على الفرنج واسترجع منهم اثنين وثلاثين بلداً من جملتها اشبيلية ومرسية ثم عاد العدو واخذ يخنقهم ولكن لم ينل منهم لاجتماع كلمتهم في الداخل على الجملة ولما دب الهرم في جسم دولتهم وقوي الاسبان باتحاد ايزابيلا ملكة قشتالة وفرديناند ملك الاراغون اي باتحاد المملكتين الرئيستين في الشمال تأذن الله بفناء الاندلس فلم يبق امامهم الا التسليم والاستسلام وفي ذلك كان هلاكهم وبوارهم .

(٢١) جبل طارق وطنجة

كان جبل طارق الذي نسب الى طارق بن زياد فاتح الاندلس وهو المكان الذي

(١) وصف لسان الدين امة قشتالة بقوله : وحال هذه الامة غريب في الحماية الممزوجة بالوفاء والرقة ، والاستهانة بالنفوس في سبيل الحمية : عادة العرب الاول . واخبارهم في القتال غريبة من الاسترجال ، والزحف على الاقدام ، اميرهم ومأمورهم ، والجثو على الارض ، او الدفن في التراب ، والاستظهار في حال المحاربة ببعض الالحان المهيجة ، ورماتهم قسيهم عربية جافية ، وكلهم في دروع ، ولا جاه عندهم ، والتقهقر مقدار الشبر ذنب عظيم وعار شنيع ، ورماتهم يسبقون الخيل في الطراد ، وحالهم في باب التحلي بالجواهر وكثرة آلات الفضة غريب اه .

بلغه في جيشه اواخر المئة الاولى بايدي العرب مدة استيلائهم على الاندلس فلما دالت دولتهم عاد الى الاسبان ولبث في حكمهم الى القرن الثامن عشر واستولى الانكليز عليه في سنة ١٧٠٤ واحتفظوا به رغم محاولة الاسبان في سنة ١٧٠٤–١٧٧٩ بمعاضدة الاسطول الفرنسوي للاستيلاء عليه فلم يستطع الاسطولان الفرنساوي والاسباني تخليص هذا الحصن من ايدي الانكليز ٠

يعلو جبل طارق عن سطح البحر ٤٢٥ متراً وهو متصل مع القارة الاوروبية بسهل من الرمل فيه بطائح ويشرف على المدينة ٠ وقد جعل الانكليز فيه قلعة شحنوها بالمدافع فجاءت من احصن ما في العالم من الحصون ٠ فهو في الحقيقة قطعة من ارض اسبانيا ولكنه انكليزي الحكم والنظام يشرف على البحرين المحيط والمتوسط ويأخذ بمخنق السفن الغادية والرائحة بين القارات الثلاث اوربا واميركا وافريقية ٠

يبلغ سكان جبل طارق اليوم ٢٢ الفاً ماعدا الحامية الانكليزية واهلها مزيج من شعوب اوربا واميركا وآسيا وافريقية ٠ كذلك ابنيتها مزيج من طراز الابنية عند الامم الكثيرة واللغتان الشائعتان هنا الاسبانية والانكليزية ٠ ولا يحق اليوم لغير الانكليزي التبعة ان يقتني ملكاً في هذا المرفأ الضيق النطاق ٠ يراقب الاجانب فيه مراقبة شديدة والمدينة كلها عبارة عن شارع واحد ضيق بني في الغالب منذ قرنين وعلى مقربة من جزيرة طريف وهي اشبه بقلعة كبيرة مشرفة على البحر ٠

جئت جبل طارق من غرناطة وانتهيت بالجزيرة الخضراء آخر عمل اسبانيا والمسافة بين هذه الجزيرة وجبل طارق بضع دقائق يجتازها المجتاز على ظهر سفينة ٠

وعلى بضعة اميال من جبل طارق ترى مدينة طنجة قائمة على البحر في بر العدوة من ثغور الغرب الاقصى واول ارض افريقية يقع نظر الخارج من القارة الاوربية عليها فينتقل السائح انتقالاً فجائياً من مدنية راقية الى مدنية متداعية منحطة وليس بين القارتين الاوربية والافريقية الا مجاز صغير كان العرب يسمونه الزقاق ٠

اغتنمت فرصة انتظار الباخرة الانكليزية التي تسافر من جبل طارق الى مارسيليا في يومين فزرت طنجة وطوفت في ارجائها وسكانها اليوم نحو اربعين الفاً فيهم كثير من الاسبانيين والبرتغاليين والطليان والفرنساويين وهي من المدن التي استعمرها الفينيقيون

فيا مضى ولا تزال محافظة بطرازها الشرقي على كثرة ما تداول عليها من الامم بعد الاسلام فقد استولى عليها البرتغاليون سنة ١٤٧١م والانكليز سنة ١٦٦٢ وحاصرها الفرنسيس سنة ١٨٤٤ وبقيت منذ ذلك الحين في يد المراكشيين وهي الآن مشاع لكل الدول او تحت حمايتهم ويتنازعها الفرنسيس والاسبان كما يتنازعون على السبق في حماية بلاد المغرب الاقصى . ويقيم فيها كثير من معتمدي الدول والسلاطين المخلوعين من امراء المسلمين في المغرب الاقصى امثال مولاي عبد العزيز ومولاي الحفيظ .

نعم ان المراكشيين ما زالوا في هذا الثغر وما وراءه من البلدان على تصلبهم في عاداتهم رغم التيار الشديد الهاجم عليهم من اوربا وهم منها على ثلاث ساعات بحراً لا يفصلهم عنها الا بحر الزقاق و بين طنجة والجزيرة الخضراء اثنا عشر ميلاً « وهو اضيق موضع فيه واوسع موضع فيه نحو ثمانية عشر ميلاً » قال الفقيه المرادي المتكلم القيرواني بعد خلاصه من بحر الزقاق ووصوله الى مدينة سبتة :

سمعت التجار وقد حدثوا ... بشدة اهوال بحر الزقاق

فقلت لهم قربوني اليه ... اشفه من حر يوم الفراق

فلما فعلت جرت ادمعي ... فعاد كما كان قبل التلاق

(٣٣) علم المشرقيات في اسبانيا

كان على اسبانيا وتاريخها مرتبط بتاريخ العرب ثمانية قرون ان تكون اول دولة غربية تعنى باللغة العربية ولكنها تعد من الاواخر لان الارتقاء يتبع بعضه بعضاً ولا تنفق امة الا مما عندها ومع هذا حدثنا التاريخ ان اول مدرسة [1] عربية انشئت في طليطلة اوائل القرن الحادي عشر ومن هذه المدرسة نشأت تربية الاسبانيين على مناحي العرب وفي سنة ١١٣٠ انشأ رئيس اساقفة طليطلة مدرسة للتراجمة في هذه المدينة وبها ربحت اللغة العربية والافكار العربية في اسبانيا المسيحية . وكان من نتائج وقعة العقاب ان حررت اسبانيا من رق العبودية للمسلمين وادرك ملوك قشتالة ان ليس من العقل مقاطعة الماضي القديم وانهم في حاجة بعد الى ان يتعلموا من معلميهم القدماء ومنافسيهم الالداء

(١) مجلة المقتبس المجلد الرابع .

من العرب فحاول الفونس العاشر ان يعمل لاسبانيا المسيحية ما عمله العرب لاعلاء شأن الاسلام وذلك بالاخذ باحسن ما في الحضارتين ومزجهما بالحضارة الاسبانية فأسست سنة ١٢٥٤ في اشبيلية مدرسة عامة لاتينية عربية وحفظ لمدينة مرسية رونقها العربي الصرف واستدعى الى عاصمته العلماء من جميع الملل والنحل ليؤسس مدرسة طليطلة الثانية وقوامها اختيار احسن المعارف النافعة وهي اقرب الى التسامح من المدرسة الاولى اذ كانت تجمع الى التقاليد اللاتينية الحضارة العربية والعلم العبراني .

كان لليهود يد طولى في نقل العلوم من العربية الى اللاتينية لان المرابطين والموحدين الذين استولوا على الاندلس بعد الامويين كانوا الى التعصب . بددوا كتب الفلسفة واحرقوها ليرضوا بذلك العامة والفقهاء ولولا تراجم الاسرائيليين لضاع كثير من اوضاع مدنية العرب في الاندلس .

ثم بدا لرجال الدين من الاسبان ان يسعوا في نشر دينهم بين المسلمين فاخذوا يعنون باللغة العربية ليتعلمها الرهبان ويجادلوا مخالفيهم بالبرهان فوضع احد الدومنيكيين اول معجم عربي باللغة الاسبانية سنة ١٢٣٠ وفي سنة ١٣١١–١٢ امتدح البابا اكلمنضس الخامس في احد المجامع الدينية من انشاء درس لتعليم العربية في مدرسة صلمنكة وفي اواسط القرن الثالث عشر كان الدومنيكيون مثال الغيرة في نشر اللغات الشرقية بين ابناء رهبنتهم ومنها العربية وانشأ صاحب اراغون مدرسة لتعليم اللغات الشرقية في ميرامار وانشأ المجمع الديني في طليطلة ينفق على طغمة من الرهبان مؤلفة من ثمانية اشخاص انقطعوا لدراسة العربية وعلى هذا ظلت الجمعيات الدينية ولاسيما الفرنسيسكانية الى القرن الثامن عشر في اسبانيا هي القائمة بدعوة المستشرقين الى درس آداب الشرق ولغاته وتاريخه .

ولم تنل مدرسة صلمنكة شهرة طائلة في اوربا حتى غدت احدى المراكز العلمية الاربعة وهي باريز واكسفورد وبولون الا انها بتأثير العلم العربي اقامت على اساس معقول تعليم العلوم الطبيعية والطب ولم يكن في مدرسة صلمنكة في اواخر القرن الثالث عشر غير خمس وعشرين حلقة للتدريس منها حلقة لليونانية واخرى للعبرانية وثالثة العربية فاصبحت في القرن السادس عشر سبعين حلقة فيها سبعة آلاف طالب .

ولما اعلن الاسبانيون الحرب على جنسية العرب ومدنيتهم ودينهم ضعفت العناية باللغة العربية ولم يكتف القوم باستصفاء جميع الجوامع وجعلها كنائس بل اخذوا ينصرون المسلمين بالاكراه وفي سنة ١٥٠١–٢ طردوا من مملكتي قشتالة وغرناطة كل من ظلوا محافظين على الاسلام ولم يعد للدومنيكيين والفرنسيسكانيين من حاجة لتعلم العربية ليتمكنوا من مجادلة الفقهاء وتخلوا عن علومهم لانها افسدت افكارهم وزهد المسيحيون في علوم المسلمين وقام في اذهانهم انها خطر عليهم .

صدر امر الكردينال كيمنس سنة ١٥١١ بعد ان احرق في ساحات غرناطة كمية من الكتب العربية ان تباد كتب العرب من بلاد اسبانيا عامة فتم ذلك في نصف قرن ولولا المترجمات منها الى العبرية واللاتينية لبادت مدنية العرب من تلك البلاد . واخذ ديوان التفتيش الديني على نفسه ابادة كل اثر للعرب وما كان متنصرة المغاربة الذين دانوا بالنصرانية مكرهين ليستطيعوا ابداء اسفهم الا سراً وفي الكتب العربية المكتوبة بالعجمية اي المكتوبة بحروف اسبانية دليل على تعلق اولئك المتنصرة بقديمهم .

وفي سنة ١٥٥٦ منع فيليب الثاني متنصرة المسلمين من استعمال اللغة العربية واراده على ان تنزع من اسمائهم التراكيب العربية وعن اجسامهم الالبسة الشرقية ليزجهم بزعمه في سواد ابناء المذهب الكاثوليكي ثم طردوا على عهد فيليب الثالث وكان عددهم نحو مليون نسمة على صورة قاسية سخيفة ولم يبق من الحضارة العربية واللغة العربية في اسبانيا غير ذكراهما وزهد القوم في القرنين السابع عشر والثامن عشر في تعلم العربية في اسبانيا اللهم الا على طريقة افرادية وغدا الاطلاع على العربية نقصاً ولربما اتهم من يتعلمها بالالحاد بعد ان كان اهل الطبقة العليا من الاسبان ايام عز العرب يحلون باقوال فلاسفة العرب كلامهم ويدرسون الفلسفة العربية درس مستبصر مستفيد لا درس ناقد عنيد ويعدون الاطلاع على الآداب العربية من امارات الظرف والكياسة .

وعلى هذا لم يبق لمدرسة الفرنسيسكان في اشبيلية من اساليب تعلم العربية الا اثر ضئيل واراد شارل الثالث ان يعيد الى اسبانيا عهد الآداب العربية فاستدعى لذلك رهباناً موارنة من سورية ليعلموا الاسبانيين لغتهم الاصلية الثانية و يحق للنصف الثاني من القرن الثامن عشر ان يباهي باساتذة متمكنين من اسرار العربية في اسبانيا .

ولما ادخل الاصلاح الى الكليات القديمة في اواخر النصف الاول من القرن التاسع عشر عادت العربية تدرس في جامعات اسبانيا رسمياً ولما استلمت الحكومة الاسبانية سنة ١٨٥٧ زمام اصلاح التعليم من دون رجال الدين او الملك او الاشراف ربحت اللغة العربية حتى كادت تعود اليها حياتها التي كانت لها في شبه جزيرة اسبانيا من القرن الثاني عشر الى القرن الخامس عشر فاخذت معرفة اللغات والآداب العبرية والعربية تدخل من تلقاء نفسها في قائمة دروس التعليم العالي واخذ المستعربون ينتفعون من المخطوطات العربية المحفوظة في مكتبة الاسكوريال ومكتبة الامة ومكتبة المجمع العلمي التاريخي ومن المخطوطات العربية المكتوبة بحروف عبرية المحفوظة في كاتدرائية طليطلة ٠ دع مكتبة خزائن كاباكوس وكودرا وريبرا وآسين وغيرهم من رجال المشرقيات ٠

والعربية اليوم تدرس رسمياً في كلية مجريط وغرناطة وبرشلونة وصلنكة وبلنسية واشبيلية وغيرها ولكن التدريس فيها مهمل والمدرسون غير كفاة الا في العاصمة وبعض الولايات وقد نشر المستشرقون من الاسبان منذ اواخر القرن التاسع عشر كتباً عربية كثيرة متعلقة بتاريخ الاندلس وتراجم رجاله وبعض العلوم التي اشتغلوا بها ومنها الجيد وا كثره مملوء بالاغلاط والتحريف وهو دون ما نشره الهولانديون والجرمانيون والبريطانيون والطليان من هذا القبيل من حيث الصحة والاتقان ٠

وانت ترى ان الاستشراق العربي كان الدين هو الداعي اليه كما كان في معظم بلاد اوربا ثم امتزج الدين بحب المدنية ثم امتزج كلاهما باسم الاستعمار ولكن المحصول في شبه جزيرة ايبريا اي في اسبانيا والبرتقال قليل ٠ وفي جامعة لشبونة عاصمة البرتقال درس عربي اليوم ومدرسه الاستاذ لوبيس الذي نشر بعض الكتب العربية فهو المرجع في البرتقال اليوم كما ان الاستاذ آسين مرجع الاسبان في مجريط وكلاهما عضو في المجمع العلمي العربي ٠

بقي بحثان ضاق النطاق عن نشرهما وهما (اسبانيا بعد العرب) و (البرتقال بعد العرب) ننشرهما في كتاب على حدة مع مقالات الاندلس وغيرها ٠

محمد كرد علي

الانتقاد

والدروس التاريخية في سورية

كتب حضرة الاب هنري لامنس في الجزء الحادي عشر من السنة العشرين لمجلة المشرق مقالاً مطولاً تحت هذا العنوان رد فيه على ردنا عليه في تاريخه المختصر عن سورية مزج فيه ما آخذناه عليه من الاغلاط والمغالطات في تاريخه متوهماً اننا ارتكبنا مثله في مقالات (غابر الاندلس وحاضرها) . وانا لنشكره لاعترافه ضمناً باكثر ما وقع له من الشطط والاستقراء الناقص في كتابه الاخير عن الشام وأن لم يصرح بذلك .

وقد تشبث باشياء ونقول علينا اموراً اذا كان فيها ما يقال في نظره فاللوم يعود على من كتبوها من مؤرخي الافرنج في الاكثر وهم قد استندوا الى نصوص لا تقبل الانكار . وغريب منه كيف يسلب العرب مزاياهم على ما تقتضيه تعصبات الشعوبية وينال من مؤلفي الغرب الذين انصفوا العرب ويزيف اقوالهم ويتهمهم بامانتهم وعلمهم . وليس الثقة في نظره الا من وثقه . وهذا ضرب غريب من المماحكة في الحقائق .

فقد قلل بكتابته من شأن الطبري والبلاذري وابن سعد والاصفهاني وابن الاثير وابن خلدون وابي الفدا من ثقات مؤرخينا ووثق الواقدي وما دسه عليه القصاص والوضاعون ! وطعن بسيديليو وميشو وغيرهما ممن كتبوا على الاسلام والمدنية العربية وقال انه لا يركن الى ما قاله العرب الا اذا قورن بكتابات المؤرخين المعاصرين من اللاتين واليونان والارمن وقال في مكان آخر « اليونان والسريان والافرنج » وهذا ايضاً من المغالطة التي نربأ بصاحبنا عن اتيانها .

فان هؤلاء الاعاجم ما كانوا يعرفون عن العرب الا بقدر ما نعرف نحن اليوم عن القطب الشمالي وسكان المريخ فما هذا المرجع البعيد الذي يحيلنا عليه وهو يحتاج على رأيه الى دراسة خاصة وعلم واسع ! من هؤلاء الائمة الذين يقتدى بهم وفي كل صفحة من كلام المتعصبين نقرأ روح الغرض ؟ فكيف نأمنهم على تاريخنا ومتى كان الغريب اعرف بالدار من صاحبها ؟ . واما اذا كان حضرته يريد ان يلقي الشك في

كل ما قاله العرب الاهم الا ما كان له مساس بالقضايا التي يهمه تأييدها على اي صورة كانت فهذا لا يوافقه عليه اقل الناس ذوقاً في تاريخ الامم واحرى بمثل هذا التاريخ الذي يمليه ان ادعى كتاباً في بث دعوة دينية او مذهب خاص .

ومن المغالطات ايضاً اصرار الاب لامنس على النيل من صلاح الدين ووصفه له بالطمع بزعمه فان صلاح الدين لم يكن خادماً عند نور الدين بل كان اكبر قواده ، وهو فاتح مصر ومبدد شمل الفاطميين بل وفاتح اكثر الشام والجزيرة وجامع شمل المسلمين لتكون كلمتهم واحدة لمحاربة الصليبيين وعلم جميع من لهم مسكة من العقل في عصره انه اذا وسد الملك الى طفل تمزقت كلمة الجماعة لامحالة على اننا رأينا صلاح الدين قد احسن الى اولاد نور الدين واعطاهم قلعة جعبر التي طلبوها واغضى عن قلعة حلب ولو كتب للملك الصالح ان يعمر لجعله صلاح الدين في دولته كما كان هو في الدولة النورية . والغالب ان حضرة المؤرخ لم ينظر الى هذه الاعتبارات واحب ان يرى الفشل بادياً على الدولة العربية لتتمتع البلاد بعدل الصليبيين كما تمتعت من قبل بعدل الروم والرومان .

اما دعواه ان ابن تيمية كان يحكم بالموت على كل من يخالفه في رأيه وكذلك تلميذه ابن قيم الجوزية فلا يقوم عليها دليل معقول خصوصاً بعد ان عرفنا حرص ابن تيمية على وقاية اهل الذمة كما ذكر ذلك في الرسالة القبرصية . واذا افتى بتأديب الكسروانيين فلانهم خرجوا على السلطان صاحب الوقت وآذوا ابناء وطنهم وعبثوا اذ ذاك بنظام المجتمع السوري ومثلهم بعملهم يقتل في كل شرع وسياسة مهما كانت نحلتهم واسف من بعدهم على ما حل بهم .

وقد آخذنا على قولنا ان المسلمين نحو ٣٠٠ مليون نسمة وادعى ان عددهم لا يتجاوز المائتي مليون وانهم آخذون بالاضمحلال في كثير من الجهات الا في البلاد التي سقطت تحت الحكم الاجنبي ولم يخرج المسلمين في الصين عن السبعة الى الثمانية ملايين مع انهم باجماع الثقات نحو الثلاثين مليوناً وقال ان مسلمي مراكش ثلاثة ملايين مع انهم زهاء سبعة ملايين . على اننا لم نورد هذا الاحصاء على انه حقيقة لاجدال فيها بل قلنا انهم نحو ثلثمائة مليون كما هو الشائع على ان قلة عددهم ايضاً لا تسمح لحضرة المؤلف ان يطعن في مقدساتهم فسواء كانوا مئة او مائتين او ثلثمائة مليون لا تجوز الآداب التاريخية

ان يعبث باصول يقدسونها في كتاب ينشر في ديارهم . واذا كان لا يرضي الاب لامنس الا ان يضعف من امر المسلمين ويدعي انقراضهم ويرزقه استصفاء ارضهم فنسكت على حواره مرجمين محوقلين .

وقد اتهمنا في نقلنا عن الافرنج عدد سكان الاندلس على عهد العرب وما رويناه عن ثروة الناصر وثبت على زعمه ان الصليبيين لم يقتلوا مئة الف من اهل المعرة واللاجئين اليها . وحجنا بما نقل عن البلاذري في فتوح البلدان من الارقام المحرفة بالطبع بشأن سكان قيسارية على عهد معاوية واتخذ من ذلك دليلاً على ان مؤرخي الاسلام يروون الارقام الخرافية الى غير ذلك مما غالط فيه بدون اقامة الحجة الداحضة ، وعجيب والله من مؤرخ ينكر كل ما يرد من غير طريق ابناء مذهبه اومن لم يضرب على وتره ، ولا يغتفر لهم زلة واحدة في جانب الف صواب ويقبل ما يهرف به القائلون بقوله على علاته قضية مسلمة .

هذا ما دار عليه محور المناقشة اما ما بدر منه خلالها من الفاظ التخزية فاننا نصون قلمنا عن كتابة مثله لمناقشنا . فقد وسمنا بكوابيس الاندلس كأننا ادعينا اننا نحن اكتشفنا الاندلس في هذا العصر واتهمنا باننا آسفون على كوننا خلقنا في القرن العشرين ولم نخلق في ايام عز الاندلس ونحن لم نورد كلمة تشعر بهذا ولكننا اسفنا على مدنية العرب وندبناها واهلها ونعينا على اعدائهم اعمالهم وهذا ما لا يروق في نظر دعاة التعصب الديني الذين يضربون كل علم على سندان النحل والمذاهب . ونسب قلة البضاعة في العلم لمن يستشهد بسيديليو وقال اننا طالعنا نيفاً وثلاثين مؤلفاً (بينهم صديقنا سيديليو) وعدة مؤلفين اسبانيين واخذه الشك في اطلاعنا عليها وادراكنا لمضموناتها وقال اننا اخطأنا في تفسيرنا للنصوص الافرنسية .

وعلى ذلك نجيبه اننا لا نستنكف عن مطالعة امثال سيديليو والاستشهاد بالجيد من كلامه وان ادى ذلك الى رمينا بقلة البضاعة وقد طالعنا زهاء ستين مؤلفاً لا ثلاثين في تاريخ الاندلس ولم نطالع شيئاً بالاسبانية اللهم الا بعض كتابات عربية وشرحها بالاسبانية او ترجمت من الاسبانية للافرنسية فادركنا مضمونها وعساه يبين لنا اوجه الغلط فيها ولا سيما في تفسيرنا للنصوص الافرنسية حتى نشكره على صنيعه علناً . والقول لمجرد لا يقنع القارئ المنصف . لاجرم اننا لم ندّع قط ونحن نكتب ونؤلف منذ خمس

وعشرين عاماً اننا نحسن لغة من اللغات ونحن لانعرف منها الا كلمات خلافاً لمن يعرفون بعض الفاظ من لغة ويدعون الاحاطة بها . والغالب ان حضرة الاب لامنس على طول مقامه في هذه البلاد ودراسته الليل والنهار كتب العرب لم يصل حتى الآن الى فهم اللغة العربية حق الفهم فضلاً عن ان يكتب فيها فمن اجل هذا لم يفهم ما نكتبه الا بواسطة المترجمين ونختم هذه المقالة بتقديم الشكر له على حسن ظنه بنا وثنائه على عملنا في آخر مقاله ضارعين اليه سبحانه ان يعلمنا علماً نافعاً نفتح به صفحتنا للحق ولو كان علينا ، ورحم الله من اهدى الي عيوبي . محمد كرد علي

مطبوعات حديثة

المرأة العربية

في جاهليتها واسلامها

تأليف السيد عبد الله العفيفي الجزء الاول طبع بمطبعة دار احياء الكتب العربية بمصر سنة ١٣٣٩ هـ - ١٩٢١ م ص ٢٣٦

اجاد مؤلف هذا الكتاب في وصف المرأة العربية في عهد جاهليتها فذكر نصيبها من الوجود وسمو ادبها ونفاذ لبها وعامة حياتها وفصاحتها وسماحة منطقها الى غير ذلك من جليل المباحث التي تجلت بها حالة المرأة العربية في الجاهلية والصدر الاول للاسلام بعبارات متينة دلت على تمكن المؤلف من ادب العرب واضطلاعه بموضوعه احسن اضطلاع وقد احسن في رد كل نقل لصاحبه وتفسير الغويص من الفاظ اللغة سواء كان كلامه او كلام القدماء فجاء كتابه كتاب ادب وتاريخ بلاغة يستفيد منه مطالعه اجمل الفوائد من اقرب الطرق وفق الله هذا العالم الى اتمام الاجزاء الباقية على هذا الطراز البديع في الوضع والطبع . م . ك

المجلة الهندسية

تلقينا بضعة اجزاء من هذه المجلة لسنتها الثانية وهي مجلة فنية هندسية شهرية تصدر بمصر مدبجة باقلام لجنة من اكابر المهندسين المشهورين . وقد تصفحنا هذه الاجزاء فوجدناها حافلة بالمقالات الممتعة منها مقالة في قانون حركة المياه . ومقالة في النقل الكهربائي . ومقالة في الهاتف اللاسلكي . ومقالة في فرقعة المراجل البخارية ومقالة في ابطال العلوم والفنون وخطاب شائق لرئيس جمعية المهندسين ومبحث المهندسين الاسلاميين للعلامة احمد تيمور باشا .

ولا حاجة الى بيان ما لهذا الفن من المكانة العالية في الشؤون المدنية وما يتوقف عليه من الاعمال العمرانية كتخطيط المدن وانشاء الطرق والسكك الحديدية والتنوير بالكهربائية وتعمير الاسواق والقصور والمطاحن والجسور وجر المياه واصلاح المناجم واستخراج المعادن واتقان الزراعة والصناعة فنحن نثني الثناء الطيب على الافاضل اصحاب هذه المجلة المفيدة ونود ان تكثر امثالها في هذه البلاد المفتقرة اليها .

ونحض طلاب الهندسة وغيرهم من الراغبين في توسيع معارفهم على الاشتراك فيها للانتفاع بما تحويه من الفوائد الفنية ونتمنى لها الثبات والرواج . انيس سلوم

***

سورية ملتقى الامم

لمؤلفه القائد هنري ماميسيه ومعربه السيد نسيب شهاب

طبع بمطبعة الترقي بدمشق سنة ١٩٢٢ ص ٩٣

هذه رسالة في جغرافية سورية وثروتها الطبيعية ومواصلاتها ومناخها وآدابها وعاداتها واديانها وبعض مسائلها الاقتصادية كمسألة اليد العاملة ورؤوس الاموال والمصارف وكلام على زراعة هذا القسم الذي وقع تحت الانتداب الافرنسي من سورية وعلى صناعته وتجارته وبيان الطرق التي تؤدي به الى الارتقاء في الزراعة والصناعات والتجارة الى غير ذلك . وقد استند المؤلف الى اوثق المصادر الحديثة في ارقامه وبيان احكامه ولا سيما لتقارير المهندسين والجيولوجيين والمستشارين الفنيين بالمفوضية العليا في بيروت

وقد جاء فيه انه اكتشفت في لبنان عدة آثار تدل على استخراج المستحجرات النباتية . لا تزال تحت الدرس والتجربة لان منها الجيد ومنها دون ذلك والمعادن التي تستحق الذكر هي في قضاء جزين والمديرج على مسافة خمسة كيلو مترات من محطة المريجات وفي كفر صلول في سلسلة جبل الكنيسة وفي عين طورا قرب مضيق زحلة و يستطاع صنع قرميد من المستحجرات النباتية بواسطة الكربون المائي اللزج الموجود على الضفة الشمالية من نهر الليطاني في مناجم المحفور وقال انه اذا خلطت احجار الحمر في اليرموك بالفحم يستطيع الاهلون استخدامه لايقاد المواقد وفي دمر على مقربة من دمشق حمر يمكن استخراجه ومعدن الحمر في حاصبيا يصدر كميات وافرة بنفقات قليلة . والحديد الفاخر كثير في سورية ولاسيما في لبنان وجبال النصيرية وجهات اسكندرونة ومن الممكن اكتشاف ينابيع زيت البترول في بعض الاماكن وكثير من الاسفلت في ضواحي اللاذقية والجبص كثير في ضواحي حلب وطرابلس ولوازم البناء والبلور المتحجر كثير وفاخر في لبنان خاصة وكذلك الحجارة المعدة للبناء ويكثر الرخام الاحمر والابيض والاصفر والوردي اللون في شمالي سورية واصقاع دمشق ويستخرج الملح المعدني في جهات سبكة (؟) ومنطقة تدمر ويكثر النحاس في قضاء كسروان واللاذقية والزئبق قرب صوفر والزيوت المعدنية في قضاء كسروان ويكثر في الاسكندرونة وكسروان النحاس والحديد والمغنيسيا والكحل والتوتيا والاسفلت وزيت البترول والذهب والفضة والرصاص والحجر الرصاصي (والكروم والبرامت) .

والرسالة مفيدة في بابها الا ان المعرب قد التبست عليه اسماء بعض المواقع والمدن فوضعها على علاتها محرفة عن اصلها ووقعت اغلاط كثيرة في اللفظ والتركيب . وكنا نود لو دفعت امثال هذه المترجمات الى اناس واقفين على اسرار اللغة عارفين بتهذيب الاغلاط الشائعة فان مايدون يجب ان يكون في الجملة عارياً عن الشوائب قريباً من مناحي الفصحاء والبلغاء حرصاً على اللغة وضناً بالآداب .

محمد كرد علي



No. 11 NOVEMBRE 1922 2ème ANNEE

LA REVUE
DE L'ACADÉMIE ARABE

Fondée le 1 Janvier 1921, Correspondant au [21 Rabih-el-çani 1339]

Revue mensuelle paraissant à Damas
Prix d'abonnement : une livre Syrienne et demie.

TABLE DES MATIÈRES